بسم الله الرحمن الرحيم

أجمل القصص ٢٣ أجمل القصص

جُرْحُ اللِّسَانِ

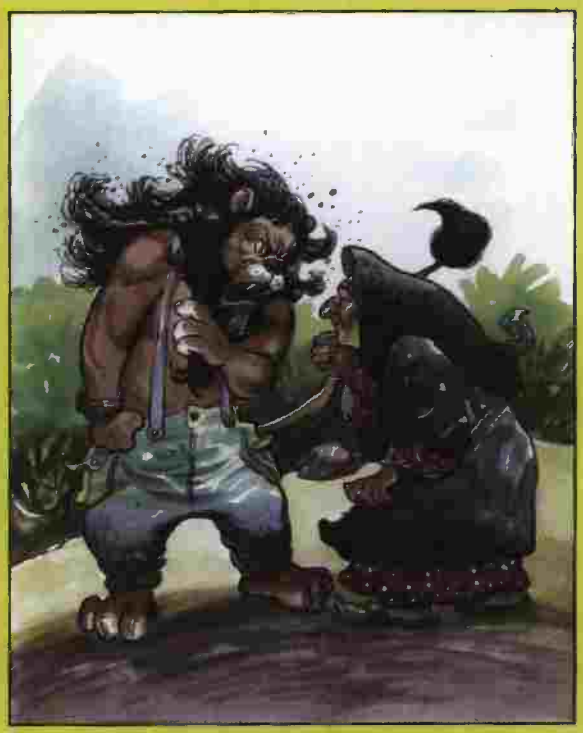

تأليف: صوريّة مروشي

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جرح اللسان/ لجنة التأليف والترجمة في مكتبة العبيكان - الرياض

١٥ ص، ٢٨× ٢١ سم ،- (سلسلة أجمل القصص)

ردمك: ٠-٦٨٩-٢٠-٩٩٦٠

١- القصص الإسلامية ٢- التربية الإسلامية - قصص

أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٨٨،٠ ٨١٣ ٢١/١٨١٠

ردمك: ٠-٦٨٩-٢٠-٩٩٦٠ رقم إيداع ٢١/١٨١٠

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

يُحكى أنَّ امرأةً عجوزاً كانت تسكنُ كوخاً صغيراً يقعُ على مشارفِ غابةٍ مترامية الأطرافِ، كثيفةِ الأشجارِ، اعتادتِ التوغلَ في تلكَ الغابةِ لجمع الحطبِ؛ كي تستعملَهُ وقوداً للنار، تتدفَّأُ بها في كوخِها خلالَ فصلِ الشتاءِ الباردِ، ولتطهوَ عليها ما تيسَّر من طعامٍ تحصلُ عليهِ ببيع بعضِ ذلكَ الحطبِ

لجيرانها وأهل قريتها. وكذلكَ أصبحت الغابةُ موردَ رزقِ العجوز منذُ ماتَ زوجُها الشيخُ، وخلَّفَها وحيدةً بلا ولدٍ أو قريبٍ أو صديقٍ.

ذاتَ صباحٍ باردٍ خرجتِ العجوزُ من كوخِها متوجِّهةً إلى الغابةِ كعادتِها بعدَ أنْ نفدَ ما ادخرتْهُ من حطبٍ ولم تجدْ ما تتدفَّأُ به، كانتْ تجرُّ قدمَيْها جرّاً وهي لا تقوى على الحركةِ لمرضٍ ألمَّ بها، وبلغتِ الغابةَ وتغلغلتْ فيها وهي تسيرُ حيناً وترتاحُ حيناً آخر إلى جذعِ شجرةٍ أو فوقَ صخرةٍ أو تجلسُ على الأرضِ لاهثةَ الأنفاسِ حتى يذهبَ ما بها من تعبٍ وإعياء، ثم تعاودُ السيرَ مرةً أخرى.

وصلت المكانَ الذي تحتطبُ منه بعد جهدٍ، فاستراحتْ قليلاً ثم نهضتْ تجمعُ ما يلزمُها من الحطبِ، ثم حزَمْتُه بحبلٍ متينٍ ووضعتْهُ فوقَ ظهرِها وعادتْ أدراجَها من حيثُ أتتْ، وهي تكادُ تسقطُ من ثقلِ ما تحملُهُ على ظهرِها المنحَني.

وبينما هي تسيرُ بخطىً ثقيلةٍ بطيئةٍ تتأوَّهُ بينَ الحينِ والآخرِ إذ اعترضَ طريقَها أسدٌ ضخمٌ لم ترَ مثيلاً له من قبلُ، كشَّر عن أنيابهِ وزمجرَ بصوتٍ مخيفٍ، رددتْ صداهُ تلكَ الغابةُ كلُّها، وارتعدتْ لَهُ فرائصُ العجوزِ التي سقطتْ مذعورةً وهي تبكي وتتوسلُ قائلةً للأسد:

« أرجوكَ أيُّها الأسدُ لا تأكلني فإنني امرأةٌ عجوزٌ مريضةٌ ووحيدةٌ ... ارحمْني أيُّها الأسدُ ودَعْني أعودُ إلى كُوخي، فإنكَ تبدو أسداً طيِّباً ».

اقتربَ الأسدُ منها خطواتٍ فتراجعتِ العجوزُ بمثلِها إلى الوراءِ، وهي ترْتعِشُ خوفاً، فقال لها مُبْتَسماً:

« لا تخْشَيْ شيئاً أيَّتُها العجوزُ، فلستُ أظلمُ أحداً في هذه الغابَةِ وأنا ملِكُها، أحكمُ فيها بالعدلِ ما استطعتُ حتى تعيشَ كلُّ الحيواناتِ آمنةً

سعيدةً... إنما جئتُ إليكِ لأُساعدَكِ على حملِ هذا الحطبِ الذي زادَكِ انحناءً، فاسمَحي لي بحملِه عنكِ...»

فَغَرَتِ العجوزُ فاها من الدهشةِ، وبعدَ أنْ ذهبَ عنها الخوفُ، واطمأنتْ لصدقِ قولِ الأسدِ سلَّمتْهُ حزمةَ الحْطبِ، فحملَها في يسرٍ بين أسنانه وكأنَّهُ يحملُ ريشةً، ومضى يمشي على مَهَلٍ حتى تلحقَ به العجوزُ التي لم تتوقفْ عن شكرِهِ والدعاءِ لَهُ.

وضعَ الأسدُ الحطبَ أمامَ الكوخِ وودَّعَها فشكرتْهُ العجوزُ قائلةً:

« لنْ أنسَى صنيعَكَ هذا أبداً أيُّها الأسدُ الشَّهمُ.. شكراً لك على مُساعدتكَ ».

ودخلتِ العجوزُ كوخَها فتبعتْهَا جارةٌ لها أتتْ لشراءِ بعضِ الحطبِ، وعادَ الأسدُ يحومُ حولَ الكوخِ إذ اعتقدَ أنَّ العجوزَ قدْ تكونُ بحاجةٍ إليهِ وخاصةً أنَّه عَلِمَ من حديثِها أنَّها وحيدةٌ ومريضةٌ.

اقتربَ الأسدُ من نافذةٍ صغيرةٍ في الكوخ وأطلَّ من خلالِها ليطمئنَّ على حالِ العجوزِ فإذا بها جالسةٌ إلى ركنِ الكوخ بعَد أنْ حركتْ بيدِها عيداناً من الحطبِ لتشتعلَ النارُ، وترسلَ الدفءَ ثم جلستْ جارتُها إلى جانبِها تحادثُها. قالت الجارةُ:

« أراكِ عُدْتِ سريعاً هذا اليوم رغمَ مرضِكِ، فكيفَ حملتِ كلَّ هذا الحطبِ على ظهركِ النحيلِ؟!..»

فأجابتِ العجوزُ بافْتخارٍ:

« لنْ تصدِّقي إذا قلتُ لكِ إنَّ الأسدَ ملكَ الغابةِ قد حملَ عني الحطبَ من جوفِ الغابةِ إلى باب كوخي !!!.»

فقالتِ الجارةُ مندهشةً: « الأسدُ !!.... هلْ تعنينَ ما تقولين ؟؟...»

بكلِّ تأكيدٍ.. إنني عجوزٌ طاعنةٌ في السنِّ لكن ذاكرتي قويةٌ وعينيَّ سليمتان وعقلي في كاملِ قُواه.. ألمْ أقلْ لكِ أنَّكِ لن تُصدِّقيني؟..»

فردَّتِ الجارةُ:

« أصدقكِ، فإنني أَعْرَفُ الناسِ بحدةِ بصركِ، وقوةِ ذاكرتكِ، وسلامةِ عقلكِ، ولكنْ كيفَ لم يأكلْكِ ويجعلْ منكِ وليمةً لَهُ ولأقْرَانه الأسودِ؟؟..»

إنَّه أسدٌ طيبٌ آلمتْهُ حالتي فجاءَ لمساعدتي ...»

وصمتتْ قليلاً ثم أضافتْ:

« لولا أنَّ رائحتَهُ كريهةٌ، ومنظرَهُ مخيفٌ.»

التقطَ الأسدُ هذه الكلماتِ الأخيرة التقاطَ السمِّ القاتل، ووقعتْ من نفسهِ موقعاً آلَمَهُ، فجرى إلى الغابةِ، وقلبُهُ يقطرُ دماً لسماعهِ تلكَ الكلماتِ الجارحةِ، وهو يحدِّثُ نفسهُ:

« رائحتي كريهةٌ ومنظري مخيفٌ أيتها العجوزُ الناكرةُ للجميلِ ...»

مضتْ أسابيعُ واشتدَّ البردُ ونفدَ زادُ تلكَ العجوزِ من الحطبِ فلمْ تجدْ بُدّاً من الخروجِ إلى الغابةِ لجلبِ ما يكْفيها من الحطبِ، وبينما هي سائرةٌ في نفس الطريقِ المؤديةِ إلى الغابةِ إذ بالأسدِ يقفزُ قفزةً أرعبتِ العجوزَ وإذا هو واقفٌ أمامَها، لم تخشَهُ هذه المرة أو تهربْ منهُ بلْ تهلَّلَ وجهُها لرؤيتهِ وقالتْ ضاحكةً:

« الحمدْ للهِ الذي بعثَكَ إليَّ لتساعدَني، فإنَّني مريضةٌ وما كنتُ لآتي إلى

هنا إلا لخوفي من الموتِ داخل كوخي برداً وجوعاً ».

صمتَ الأسدُ ولمْ يجبْ، ونظرَ إلى العجوزِ نظراتِ غضبٍ جعلتْ الخوفَ يدبُّ في نفْسِها من جديدٍ، ثمَّ اقتربَ منها مُزَمْجِراً وقال:

« هلْ ترينَ ذلكَ الحجرَ الملْقَى تحتَ قدمَيْكِ؟ .. »

فقالتِ العجوزُ وهي تنظرُ إلى حيثُ أشارَ:

« تقصدُ هذا ؟!.. »

فقالَ مزمجراً غضباً:

« التقطيه واقتربي ... »

التقطتِ العجوزُ الحجرَ وهي ترتجفُ من الخوفِ واقتربتْ منهُ، وهي تغلقُ عينيها وتفتحُهما خوفاً من أنْ يهجمَ عليها فيأكلهَا. قالَ الأسدُ وقدْ أصبحتْ أمامَهُ وجهاً لوجه:

« اضربيني بهذا الحجرِ المدبَّبِ على رأسي ضربةً قويةً ».

فقالتِ العجوزُ وقدْ اختلطتْ عليها مشاعرُ الخوفِ والدهشَةِ والعجبِ:

« أضربُكَ ؟! ... ».

فصرخَ الأسدُ غاضباً:

« لا تسألي بل نفذي وإلا أكلتُكِ في لحظةٍ واحدةٍ !!... »

أمسكتِ العجوزُ ذلكَ الحجرَ في يدِها المرتعشةِ وبأقصى قوتِها ضربتْ رأسِ الأسدِ فأدمتْهُ، وما إن رأتِ الدماءَ تغطي وجهَهُ حتى توقفَ قلبُها عن نبضهِ وأيقنتْ أنها هالكةٌ لا مَحَالةَ.

أمسكَ الأسدُ جرحَهُ، وهو يتأوَّهُ من الألمِ وقالَ للعجوزِ قبلَ أنْ ينصرفَ:

« اذكري هذا الجرحَ ولا تنسيهِ أبداً، أبداً ... »

ومضى الأسدُ مسرعاً وهو يزأرُ من الألم فيترددُ في الغابةِ كلِّها صدى

تأوُّهِهِ ووقْعَ خُطواتِهِ حتى تَوارَى عن عينِ العجوزِ، فإذا بصمتٍ رهيبٍ يلُفُّ الغابةَ بأسرِها.

لمْ تستطعْ أن تتوغلَ في الغابةِ، بل اكتفتْ بجمعِ ما وجدتْهُ في طريقِها من بقايا الأشجارِ، والأغصانِ، وعادتْ إلى كوخِها مُسْرعةً وهي متعَجِّبةٌ

لأمرِ الأسدِ وما حدثَ لها معهُ.

ازدادَ البردُ في ليالي الشتاءِ الطويلةِ بعدَ انقضاءِ أيامِ الخريفِ العاصفةِ، واحتاجتِ العجوزُ إلى مزيدٍ من الحطبِ فخرجتْ تطلبُهُ في تلكَ الغابةِ، وقد نسيتْ أو تناستْ ما كان بينَها وبينَ الأسدِ.

وبينما هي ماضيةٌ في سبيلها بنفسِ الخطواتِ البطيئةِ تمشي حيناً وترتاحُ آخرَ وإذا بالأسدِ يُقْبِلُ نحوَها وعيناهُ تلْمَعَانِ من بعيدٍ، فمَا إنْ رأتْهُ حتى تذكرتْ ما كانَ لها معَهُ في المرةِ الأخيرةِ التي التقتْهُ فيها.. وقفَ أمامَها وبصوته القويِّ الواثقِ من نفسه قالَ:

« هلْ تذكرينَ حينَ ضربتني بذلكَ الحجرِ على رأسي فأدميته ؟؟..»

فقالتْ مُدَافعةً عن نفسِهَا:

« إنَّكَ طلبتَ مني ذلكَ، بلْ وهدَّدتَني إذا لمْ أفعلْ بأنكَ ستأكُلُني، فما كانَ لي إلاَّ أن أُنَفِّذَ دونَ أنْ أفهَمَ لماذَا تطلبُ منِّي ضربَكَ، ثمَّ تمضِي لحالِ سبيلكَ دامي الرأسِ متألمَ النفسِ ».

فقالَ الأسدُ:

« نعم أنَا طلبتُ منكِ ذلكَ، فانْظُرِي إلى موضعِ الضَّرْبةِ من رأسي، هلْ بقيَ من أثرِها شيءٌ ؟ ».

نظرتِ العجوزُ وأمعنتِ النظرَ ثمَّ أجابتْ:

« لا، لمْ يبقَ من أثرِ تلكَ الضربةِ شيءٌ !!!»

حينها قالَ الأسدُ :

« فاعْلَمي أنَّ تلكَ الضربَةَ رغمَ قوتِها لمْ يبقَ لها أثرٌ في رأسي ولا ألمٌ لها في نفْسِي ، لكنَّ كلماتكِ التي نطقتِ بها لجارتكِ يومَ أحسنتُ إليكِ لا تزالُ جُرْحاً في قلْبِي لمْ يلْتئِمْ بعدُ رغمَ مرورِ الأيامِ والأشهُرِ ... »

وصمتَ ليتركَ للعجوزِ فرصةً لتذكُّرِ مَا قالتْهُ، ولمْ تستطعِ العجوزُ أن تدافعَ عن نفسِها، وقدْ تذكَّرتْ كلامَها، وأيقنتْ أنَّهُ سمعَها، فقالتْ معتذرةً:

« إنَّهُ كلامٌ لم أقصدْ منهُ الإساءةَ إليكَ، إنما كانَ حديثاً عابراً بيْني وبينَ جارَتي »

فقالَ الأسدُ غاضباً وقدْ كشَّرَ عنْ أنيابِه:

« إنَّكِ قابلتِ الإحسانَ بالإساءَةِ، ورَددتِ الجميلَ بالقبيحِ؛ بلْ بأقبحِ ما يكونُ، ووصفْتني بما لمْ يتجرأْ أحدٌ أن يصفَني به..»

واشتدَّ عضبُهُ وانتفختْ أوداجُهُ، فقالتِ العجوزُ مهدِّئةً:

« سامحْني أيُّها الأسدُ الطيبُ النبيلُ فإنني لنْ أعودَ لمثلِها أبداً...»

فَهَدأَ الأسدُ قليلاً ثم قالَ مهدِّداً:

« سأسامحُكِ هذه المرة، ولنْ أسيءَ إليكِ، ولكنْ إياكِ أنْ تعودي إلى غابتي هذه، فإنْ وجدتكِ بعدَ اليوم هنا أكلتُكِ دونَ رحمةٍ أو شفقةٍ ... هيَّا اذْهَبي»

وحاولتِ العجوزُ أن تجري فلمْ تستطعْ، فأسرعتِ الخطا دونَ أن تلتفتَ وراءَها حتى وصلتْ كوخَها، فارتمتْ على فراشِها مذعورةً، وقدْ قررتْ ألا تعودَ إلى الغابةِ أبداً.

ومرتْ أشهرٌ عديدةٌ مضى فيها الخريفُ والشتاءُ، وأقبلَ الربيعُ متدثِّراً ببردِ الشتاءِ، ونسيتِ العجوزُ حكايةَ الأسدِ وتهديدَهُ ووعيدَهُ وذهبتُ إلى الغابةِ مرةً أُخْرَى آملةً أن تعودَ بحُزْمةِ حطبٍ تستعملُ نصفَها وتبيعُ النصفَ الآخرَ.

وما إنْ بلغتْ مكانَ احتطابِها حتى فاجأها الأسدُ منِ جديدٍ وهو يزمجرُ بأعلى صوتهِ، ويزأرُ بكلِ قواهُ، ويركلُ الأرضَ بأقدامهِ، ودونَ أن يتفوَّه بكلمةٍ واحدةٍ هجمَ على العجوزِ والتهمَها التهاماً وهو يردِّدُ:

جراحاتُ الزمانِ لها التئامٌ ولا يلتامُ ما جرحَ اللسانُ